اساسي بين الحركة الصهيونية وبين الحركات القومية الكلاسيكية من حيث نشاطها الاستعماري الاستيطاني ( عدا عن الفوارق التي أشرت اليها من حيث الزمان والمكان وطبيعة الاستيطان ) لا بد من الاشارة اليها . كان الاستعمار الاستيطاني في شكليه الكلاسيكي والجديد ، في أواخر القرن التاسع عشر ، يأخذ طابع التوزع ، اي هجرة الافراد والجماعات من مجتمع قائم الى مستعمرة او اكثر بغية استيطانهم فيها ، في حين ان الاستعمار الاستيطاني الصهيوني أخذ صورة التجمع — تجمع اليهود الواردين من مجتمعات متعددة ( كان آخر احصاء لها يبين انها تتعدى المائة مجتمع ، هاجر منها اليهود ) في مجتمع واحد ، هو مجتمعهم الاستعماري الاستيطاني الجديد . فبدلا من أن تتألف الصورة من مجتمع اصلي يتوزع أهلوه في مستعمرات عديدة ، نجد في حالة الحركة الصهيونية مستعمرة واحدة ، تصبح هي المجتمع الرئيسي ، ومجتمعات اصلية متعددة تنطلق منها الهجرة اليهودية في فترات متعاقبة باتجاه المجتمع المستعمر حديثا . أما **بالنسبة للامبريالية** وصلتها باسرائيل ، فأؤكد مرة أخرى على ما ذكرته ، وهو أن كل حركة استعمارية كان لها القاعدة الامبريالية التي انطلقت منها وكانت مستعدة لحمايتها منذ البدء . أما الصهيونية فكان عليها ان تفتش على من تخدم كي يخدمها . وهذا أمر لازمها منذ قيامها حتى الان . الذبذبة بين مخدوم ومخدوم يكون كل منهما هو أيضا لها خادما — هذا في هذه المرحلة وذاك في تلك المرحلة . فمن بريطانيا في مطلع الاستقرار الصهيوني المكثف في فلسطين بعد وعد بلفور ، الى بريطانيا واميركا في اواخر عهد الانتداب ، والى اميركا في الوقت الحاضر . ومرت فترة ناغشت فيها الحركة الصهيونية فرنسا . وفي حرب ١٩٥٦ مثلا كانت العلاقة المعروفة بين بريطانيا وفرنسا والحركة الصهيونية . وقد يأتي يوم يكون فيه مرشحون امبرياليون آخرون للقيام بهذا الدور. المبدأ الثالث هو أن الصهيونية موجودة وهي في حاجة الى عون من الخارج ( وان تكون هذه الحاجة في تقلص كلما ازدادت القوى الذاتية للحركة الصهيونية في مكان استقرارها ) . هي في حاجة دائما الى دعم وتأييد من الخارج ، فهي مستعدة الى تقديم الخدمات لاي مصدر خارجي يقدم لها الحماية والمساعدة المطلوبين .

أريد أن أخلص من هذه الملاحظات البسيطة والمبسطة ، حول صلات القربى والاختلاف ، بين الحركة الصهيونية وبين الحركات الاوروبية الثلاث التي ذكرتها ، الى القول بأن هناك ، في نظري ، خطأين ساريين اليوم : الاول هو الذي تروج له الصهيونية ، وهو القول بأن الحركة الصهيونية ليست سوى قومية طبيعية عادية ، بل انها أعرق حركة قومية ، كما قال المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون وكما تردد أوساط الدعاية الصهيونية منذ ذلك الحين ، أي ان الصهيونية هي حركة تحرر قومي للشعب اليهودي ، بل هي اقدم حركة تحرر قومي في التاريخ اطلاقا . من جهة ثانية هناك خطأ آخر ، أخشى ان يكون متفشيا لدى بعضنا ، وهو اعتبار الصهيونية على أنها ليست سوى امتداد لحركات امبريالية خارجية ، او انها ليست سوى ظل لمصالح وارادات امبريالية خارجة ، فاذا زال الاصل زال الظل . مما قد يعني انه ليس للصهيونية ( اسرائيل ) كيان ذاتي ، وليس لها مصالح ذاتية وارادة ذاتية واهداف ذاتية ، وليس لها قوة ذاتية . هذا الخطأ النظري ينقلب آخر الامر الى خطأ استراتيجي في مواجهتنا للحركة الصهيونية. فعلى الرغم من كل ما شاهدناه وكل ما نعترف به من الصلة الحميمة بين الامبريالية العالمية ( هذه تارة وتلك اخرى ) وبين الصهيونية ، على الرغم من ذلك يجب ان نتأكد أن الكيانين متمايزان منفصلان ، اذ للصهيونية كيانها وأهدافها القائمة بذاتها ، وارادتها ، ومصالحها ، ولها أيضا قوتها الذاتية ، وللحركة الامبريالية التي تتعاون معها اليوم وغدا او تعاونت معها بالامس أهدافها وارادتها وقوتها القائمة بذاتها . ومن الخطأ أن نعتبر ان الصهيونية ليست سوى امتداد او ظل أو أداة : بل الحقيقة ان لها كيانا ذاتيا يستفيد من، ويسخر، ويفيد، ويخدم ويخدم ، من قبل حركات امبريالية خارجية ، ولكن غرضه الاساسي هو خدمة الهدف الصهيوني والمصالح الصهيونية .

**الياس سعد** : بما ان موضوع الندوة هو « الصهيونية بعد ٧٥ سنة » ، اود ان اتقدم ببعض الملاحظات الملخصة كي تكون بمثابة تقييم لنتائج الصهيونية وعواقبها بالنسبة للاوضاع التي تأثرت بها وأثرت عليها . وربما من المفيد اجراء هذا التقييم على مستويات ثلاثة : أولا ، نتائجها وعواقبها بالنسبة لليهود في كافة البلدان او المناطق التي تواجدوا فيها . ثانيا ، تأثيراتها على مجاري